

المأعمال والنتائج

كانت وزارة المعارف فى الخمسينات تسلمنا كراسات مكتوب على غلافها الأخير مجموعة من النصائح ، مازلت أذكرها حتى اليوم ، أو على الأقل أذكر بعضها عن ظهر قلب ، ومن ذلك : (اغسل يديك قبل الأكل وبعده) و (لا تؤخر عمل اليوم إلى الغد) و (من جد وجد ، ومن زرع حصد) .

وأريد أن أتوقف اليوم عند هذه العبارة الأخيرة التى صاغها أديب حكيم ، بحيث تكون منهاج حياة للأفراد والمجتمعات ، ومن حق الأجيال الجديدة أن نجعلها شعارا لهم ، وأن نقدم الأمثلة عليها من أنفسنا ، فنعمل بجد ، ونخطط للمستقبل مدركين تماما أن النتائج لا تخرج دائما إما من مقدماتها ، وأن الثمار التى تزدهر فى وقت معين تتطلب قبل ذلك عملا متواصلا يبدأ من تمهيد الأرض لزارعتها ، ووضع البذور الصالحة فيها ، ثم رعايتها وإبعاد الأذى عنها حتى يحين موسم حصادها . هكذا تعلمنا أن الأمور لا تسير اعتباطا ، وأن الحياة لا تمضى بالصدفة ، وإنما هناك قوانين محددة تجعل لكل شئ وقتا ، ولكل مجهود نتيجة ، وأن المكافآت لا تقدم إما للمتميزين الذين بذلوا جهودا أكبر من غيرهم ، وتحملوا من أجل ذلك الكثير من المصاعب ، كما اجتازوا العديد من العقبات . يقول مثل صينى قديم : (ابحث وسوف تجد) والعرب تقول : (الزيت لا يأتى إلا من العصر) أما الإنجليز فيشيع بينهم المثل القائل : (لا شئ يأتى بدون تعب ، إلا الفقير) وما أجمل المثل الهندى الذى يقول : (بماء الجسم ، أى بالعرق المتساقط منه ، نستخرج الماء من الآبار) والروس يقولون : (كلما أوغلنا فى الغاية ، عثرنا على أعشاب أكثر) وهناك مثل لاتينى يقول : (لكى تحصل على اللوز ، يلزمك كسر النواة) . ثم لماذا ذذهب بعيدا ، وعمر بن الخطاب يقول بكل صراحة وحسم : (إن السماء لا تمطر ذهباً ولما فضة) وهذا يعنى أن العمل ضرورى للحصول على الرزق ، وأن زيادة المجهود يقابلها زيادة الأجر . وفى القرآن الكريم " إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا " أى من أداه بإتقان . وكثيرا ما نلتقى بأشخاص يكثرون الشكوى من الزمان ، ومن حظوظهم العاثرية ، ومن أجورهم الهزيلة ، ولو أنهم اتجهوا بدلا من ذلك إلى بذل مزيد من الجهد فى عملهم ، أو فى محاولة الحصول على عمل آخر ، لتغيرت أحوالهم . فالصينيون يقولون : (أن تشعل شمعة صغيرة واحدة أفضل من أن تجلس ، وتلعن الظلام) .

وهكذا يخطئ من يظن أن الحياة ملهاة ، وأن الأمور تسير فيها بدون ضوابط ، مستندا إلى بعض الأمثلة التى تخرج عن القاعدة العامة ، وذلك حين يرى شخصا يكسب الكثير بدون عمل ، أو يحصل على نتيجة كبيرة بدون جهد . والواقع أنه لو وضع هذه الحالات القليلة تحت المجهر لعثر على أسبابها البعيدة ، والمتى قد تكون غير مرئية للعين المجردة . ومن ناحية أخرى ، فإن هذه الحالات قد تكون من قبيل الانكسارات الطبيعية التى تتمثل فى الزلازل والبراكين فهذه لا تحدث فى كل وقت ولما فى كل مكان ، لكن القاعدة العامة صحيحة ، وهى أن لكل عمل أجرا ، ولكل جهد زائد مكافأة .